دور المناسبة الصوتية في تماسك النص القرآني ـ دراسة نصية في سورة الرحمن

The role of the phonetic occasion in the cohesion of the Qur'anic text a textual study in Surat Al-Rahman

وليد بوجلال

جامعة الحاج لخضر باتنة 1

Walidboudjllel@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/02 تاريخ القبول: 2022/04/12 تاريخ النشر: 2022/06/10

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى البحث عن دور المناسبة الصوتية في تحقيق تماسك النص القرآني متلمسين ذلك في سورة الرحمن التي تظهر فيها هذه الخاصية كغيرها من سور القرآن الكريم ، ولمسنا هذا التماسك في تناسب الفواصل القرآنية في السورة وظاهرة التكرار الصوتي .

كلمات مفتاحية: المناسبة الصوتية ، النص ، التماسك النصي ، سورة الرحمن.

Abstract:

This article seeks to search for the role of the phonetic occasion in achieving the coherence of the Qur'anic text, seeking that in Surat Al-Rahman, in which this characteristic appears more than other Suras of the Noble Qur'an.

Keywords: phonetic occasion; text; textual coherence; Surat Al-Rahman.

المؤلف المرسل: وليد بوجلال ، **الإيميل**: Walidboudjllel@gmail.com

1.مقدمة:

يعتبر التماسك النصي أحد الخصائص التي تميز النص القرآني عن غيره من النصوص الأخرى، فهو يختصّ بنظمه الذي تتيه فيه العقول وتحار فيه النفوس، ورغم نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم منجما، إلا أنه كالكلمة الواحدة منسجمة المعاني متسقة المباني، وهذا ما جعله يخرج من حيز العادة والمألوف إلى حيز الإعجاز.

لقد سعى المفسرون وعلماء القرآن إلى البحث عن مكامن الإعجاز القرآني، ورأوا أن من أسرار الإعجاز فيه تلك الروابط التي أودعها الله عز وجل بين آياته وسوره، فوضعوا مؤلفات بحثوا فيها عن مواطن الإعجاز انطلاقا من انسجامه وتماسك أجزائه وترابطها من الناحية الظاهرية السطحية ومن الناحية الدلالية العميقة، ومن خلال ذلك تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن دور المناسبة الصوتية في التماسك النصي في القرآن الكريم متخذة من سورة الرحمن ميدانا للدراسة مجيبة عن الإشكالية التالية: ما هو دور المناسبة الصوتية في تحقيق التماسك النصي في القرآن الكريم؟ وما هي مظاهر هذه المناسبة؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية سارت الدراسة وفق آليات المنهج الوصفي، بالاعتماد على آلية التحليل وفق ما يقتضيه النص القرآني من خصوصيات تجعله يتميز عن غيره من النصوص بكونه كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وقع الاختيار على سورة الرحمن لتكون مدونة للدراسة النصية لأنها تتميز بخاصيتين بارزتين هما: تناسب الفواصل القرآنية والتكرار .

2.مفهوم النص:

يشير اللسانيون إلى أن النص يمثل محور الدراسات اللسانية النصية الحديثة وذهبوا مذاهب عديدة في تحديد مفهومه، فجاءت مفاهيمه متعددة وكثيرة وفق ما تمليه وجهة نظر كل باحث وما تقتضيه مبادئ منهجه المعتمد، ومن خلال هذا البحث نعرض بعض مفاهيم النص وفق ما جاءت به لسانيات النص الحديثة .

1.2 النص في التراث العربي :

يتعلق مفهوم النص في التراث العربي بدلالته اللغوية التي توحي بالرفع والإظهار، فقد جاء في لسان العرب: " النص رفعك الشيء، نصّ الحديث ينصه نصا رفعه ، وكل ما أظهر فقد نصّ "[1]، ومن ذلك أيضا " قولهم: نص القرآن ونص السنة ،أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام "[2]، وهذا ما دل عليه

الفقهاء وعلماء الأصول أن النص:" كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة... لأن ما ورد من صاحب الشرع نصوص، وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص"[3]، ومن هذا المنطلق يعرف نصر حامد أبو زيد (النص) بقوله: " المفهوم المركزي للنص في الثقافة الإسلامية هو الوحي"[4]، سواء كان من القرآن الكريم أو من السنة النبوية، وكذلك " يطلق على كل كلام مفهوم المعنى"[5]، وهذا ما يوافق ما ورد في المعجم الوسيط في الاستعمال للحديث للفظة النص أنها "صيغة الكلام الأصلي التي وردت عن المؤلف "[6].

2.2النص في اللسانيات النصية الحديثة :

تعددت مفاهيم النص في اللسانيات النصية الحديثة، إلا أن الدارسين يكادون يتفقون على أن المفهوم الجامع للنص هو ما أورده روبيرت دي بوجراند في تعريفه للنص حسب ما نقله سعيد حسن بحيري بأنه : "حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير "[7]، وهذه المعايير حسب ما صنفها هي[8]: السبك (الاتساق)، الحبك (الانسجام)، القصدية، المقبولية، الموقفية، التناص، الإعلامية، وهذه المعايير تشمل كل ما يتعلق بالنص من الناحية الداخلية له من علاقات شكلية ودلالية، أو من الناحية الخارجية له من خلال علاقته بالمنتج و المتلقي والسياق. ولعل أهم المعايير في التحليل النصي معياري الاتساق والانسجام ،وهما ركيزتا التماسك النصي.

3.مفهوم التماسك النص:

يحتل التماسك النصي مركز الدائرة في الأبحاث النصية، ويعتبر أحد أهم الركائز التي بنيت عليها لسانيات النص، وهو من المصطلحات اللسانية الحديثة، حيث يشير إلى ذلك الترابط الشديد بين أجزاء النص وعناصره؛ إذ يتعلق بمعياريين أساسيين من معايير النصية عند (دي بوجراند)؛ أحدهما يختص بالجوانب الشكلية في النص، والآخر يختص بالجوانب الدلالية، وكلاهما مكمل للآخر وهما الاتساق والانسجام:

1.3الاتساق:

يقول محمد خطابي: " يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويُهتم فيه بالوسائل اللغوية(الشكلية)"[9]، و عبر عنه (سعد مصلوح) بمصطلح (السبك)، حيث يقول:" يختص معيار السبك بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، ونعني بظاهر النص

الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق "[10].

2.3الانسجام :

يسميه (سعد مصلوح) الحبك، وهو " يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[11]، فالنص مجموعة من الدلالات العميقة التي يحاول المتلقي استنباطها من خلال الربط بين العلاقات الشكلية في ظاهر النص والسياق الذي ورد فيه .

وعليه يكون التماسك النصي مبنيّا على استكشاف الروابط الشكلية في النص على مستواه السطحي وربطها بالدلالة العميقة للوصول إلى المعنى الكلية له في ذهن المتلقي، ولا يتحقق أحدهما إلا بالأخر .

3.3.تماسك النص القرآني:

يقول عبد القاهر الجرجاني في وصف تماسك القرآن الكريم بعدما عرضه النبي صلى الله عليه وسلم على العرب مبرزا موقفهم منه:" تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى، أو أخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما ..."[12]، وهذا بدر الدين الزركشي يصفه أنه" كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني "[13]، وقد رُوي عن (فخر الدين الرازي) قوله:" القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيب ونظم آياته"[14]، ونقل عنه أيضا الزركشي قوله:" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " [15]، أي أن من أبرز أسرار إعجاز القرآن الكريم تلك الروابط الخفية التي أودعها الله عز وجل بين ألفاظه وآياته وسوره فكان وحدة متماسكة الأجزاء لا يمكن الفصل بينها، وقد سعى كفّار قريش و من جاء بعدهم من المعارضين إلى الطعن في القرآن الكريم فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ووقفوا موقف انبهار وإعجاب بأسلوبه وبلاغته وتماسكه، كما سعى علماء القرآن والمفسرون إلى الدفاع عنه ضد الطاعنين والبحث فيه عن إسرار إعجازه في تلك الروابط بين أجزائه" فأكدوا تماسكه الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي... وأيضا أكدوا المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة وجمل النص الواحد

ونصوص القرآن كله " [16]، واهتموا بدراسته من ناحية الظروف السياقية المحيطة به وعلاقتها في بيان دلالته ومعانيه ، وأوضحوا أنه شديد التماسك والترابط على المستوى الصوتي والمعجمي والدلالي، رغم أنه أنزل مفرقا في مدة زمنية طويلة .

4.المناسبة الصوتية ودورها في تحقيق التماسك النصي في سورة الرحمن:

1.4 مفهوم المناسبة:

ورد في القاموس المحيط:" المناسبة : المشاكلة "[17]، ويقول ابن فارس: " النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء "[18]. وهذا ما يقتضي وجود علاقة رابطة بين الشيئين والتماسك بينهما.

أما من الناحية الاصطلاحية فالمناسبة علم يندرج ضمن مباحث علوم القرآن التي تبحث في طريقة الارتباط بين أجزاء القرآن الكريم ليكون وحدة متماسكة، وقد قال الزركشي في ذلك:" فائدته جعل أجزاء الكلام بعضه آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم "[19]. وإن أول شيء يوحي بتماسك النص القرآني هو ما يرتبط بالناحية الصوتية منه؛ من تناسب الفواصل القرآنية وانسجامها في أذن السامع.

وليس أدل على ذلك ما ذكره السيوطي من قصة الوليد بن المغيرة عندما وصف القرآن الكريم بعدما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قائلا:" فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله لا يشبه الذي يقول شيئا من هذا، و والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطّم ما تحته "[20]. وما هذا الوصف الدقيق إلا لتأثيره عليه .

2.4المناسبة الصوتية :

يتحقق التماسك النصي على المستوى الصوتي في سورة الرحمن بظاهرة الانسجام الصوتي التي تتحقق بدورها من خلال المناسبة الصوتية بين الفواصل القرآنية، حيث تؤدي دورا كبيرا في الربط بين الآيات مما يجعل النص القرآني متماسكا من الناحية الصوتية، فالآيات " تنتهي بفواصل منسجمة موسيقيا بعضها مع بعض"[21]، مما يؤثر على المتلقي ويخلف في أذنه نوعا من الانسجام الصوتي. و" يقصد بالمناسبة الصوتية أن يكون الصوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين أن يكونا على صورة لا

يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر لا في الأداء ولا في السمع " [22] ، وقد أكد تمام حسان أن أشهر مظهر للمناسب الصوتية هي الفاصلة القرآنية [23]، و بها يتحقق التماسك الصوتي في القرآن الكريم .

و قد ورد عند علماء القرآن أن " الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع "[24]، وأن لها دورا في تحقيق التماسك الصوتي بين الآيات ، إذ يقول الزركشي:" واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطّرد متأكد جدا، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه في النفس تأثيرا عظيما"[25].

وهذا مصطفى صادق الرافعي يصف حال العرب وعجزهم أمام نظم القرآن الكريم وتناسب أصواته وتراكيبه قائلا:" فلما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته وكلماته في جمله ألحانا لغوية رائعة لأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة "[26]. وهذا ما جعل القرآن الكريم في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة عند العرب ، فلم يقدروا على مضارعته لأسلوبه ونظمه في أصواته وكلماته وتراكيبه.

5.أنواع الفواصل القرآنية في سورة الرحمن:

يصنّف الزركشي الفواصل القرآنية إلى نوعين : فواصل متماثلة و وفواصل متقاربة؛ حسب مخارج الحروف، فيقول:" فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة "[27] ، وإذا ما تأملنا سورة الرحمن من فاتحتها حتى خاتمتها نجد أنها فواصلها مبنية على حرفين متقاربين في المخرج والصفات؛ وهما حرفا النون والميم و " كلاهما صوت أنفي مجهور"[28] ، فتشكل بذلك نوعين من الفواصل يتحقق من خلالها التماسك الصوتي في السورة .

يعلق الرافعي عن التناسب الصوتي في الفواصل القرآنية ودره في تماسك آيات السورة الواحدة والقرآن كله قائلا:"وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن الكريم إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمدّ وهو كذلك طبيعي في القرآن " [29].وعلى ذلك فإن فواصل آيات سورة الرحمن تنتظم ضمن نوعين هما:

5ـ1 الفواصل المتماثلة :

جاءت جلّ فواصل الآيات في سورة الرحمن متماثلة مبنية على حرف النون من بدايتها إلى خاتمتها؛ وهو" صوت مجهور متوسط بين الشدّة والرخاوة "[30]. وهذه الصفات تتقارب دلالاتها مع المعاني القرآنية التي تحملها السورة وموضوعها.

يقول الله عزّ وجلّ في فاتحة السورة: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (1ـ 4)

يقول عبد الرحمن السعدي في تفسيره لموضوع السورة:" هذه السورة الكريمة الجليلة افتتحها باسم الرحمن الدال على سعة رحمته وعموم إحسانه وجزيل بره وواسع فضله ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية والأخروية وبعد كل جنس ونوع من نعمه ينبه الثقلين لشكره ويقول : ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ (13) "[31]. وإذا أمعنّا النظر في الرابط بين موضوع السورة وبين صفات حرف النون الذي بنيت عليه جل فواصلها نجد أن الإنسان المؤمن في حياتيه الدنيوية والأخروية يتقلب بين أمرين يتقلب بين الشدة والرخاء؛ بين شدة الدنيا ورخاء الآخرة؛ فوجب عليه أن يشكر الله على ذلك.

ثم انظر إلى قوله تعالى : ﴿ **عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (2 ، 4). يقول السعدي في تفسيره عن تعليم القرآن:" علّم عباده ألفاظه ومعانيه ويسّرها على عباده وهذا أعظم منة ورحمة رحم بها العباد ، حيث انزل عليهم قرآنا عربيا بأحسن الألفاظ وأوضح المعاني " [32]. ثم قال في قوله تعالى عن تعليم البيان:"التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي فالبيان الذي ميّز الله به الآدمي على غيره من أجلّ نعمه وأكبرها عليه "[33].

ونشير هنا إلى العلاقة بين التعليم والبيان من جهة وبين الصفة البارزة في صوت النون وهي الجهر، أفلا يحتاج التعليم والتوضيح والبيان والإفصاح إلى صفة الجهر التي نجدها في حرف النون المكرّر في فواصل السورة ؟ وهنا يمكن القول أنّ التماسك شديد بين فواصل السورة وبين موضوعها وفاتحتها .

بعدما ذكر الله عز وجل في فاتحة السورة خلق الإنسان وتعليمه انتقل إلى تعداد نعمه عليه التي تستحق الشكر والحمد فيكرّر قوله: ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ (13) بعد كل نعمة ذكرها.

قال الله عزّ وجلّ:﴿ **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ﴾سورة الرحمن الآيات (1 ـ 6) .

وقال أيضا : ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ (17 ـ 23) .

وقال أيضا: ﴿ **يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجَنِّ وَالإِنْسِ إِنْ اِسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ** ﴾ (29 ـ 33) .

وقال أيضا: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَّانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ (46 ـ 53)).

إن المتأمل في فواصل آيات سورة الرحمن يجد أنها وردت على نسق واحد من التماثل الصوتي وهي متناسبة مع اسم السورة ﴿ **الرَّحْمَنُ** ﴾ (1) وفاتحتها ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ** ﴾ (1 ـ 2) فهي تنتهي بحرف النون الممدود ما قبله، وعددها في السورة تسعة وستون فاصلة نونية، منها واحد وثلاثون فاصلة مكررة في قوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ (13) . وهذا التناغم الصوتي بين فواصل السورة يوحي بذلك التماسك الشديد بين أجزائها .

1.5 الفواصل المتقاربة :

إن أقرب الحروف مخرجا من النون هو حرف الميم، وسورة الرحمن جاءت بعض آياتها مبنية على حرف الميم، وهي منبثقة عن الفواصل الأصلية ومتقاربة معها في المخرج ، وعددها في السورة سبعة فواصل ميمية وهي:

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ** ﴾(10 ـ 11)

وقال : ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** ﴾ (24)

وقال أيضا: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾(27).

وقال: ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمُ فَيُؤْخَذُوا بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾(41).

وقال: ﴿ **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَّامِ** ﴾(72).

وقال في خاتمة السورة: ﴿ **تَبَارَكَ اِسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ** ﴾ (78) .

أما الفواصل التي تنتهي بحرف الراء فعددها فاصلتان في قوله تعالى: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ** ﴾ (14 ـ 15)

ذكر إبراهيم أنيس في صفات حرف الراء أنها تقترب من النون وهي أنها حرف مجهور يتوسط بين الشدة والرخاوة والمميز لها عن غيرها أنها حرف مكرر[34].

إن المتأمل في السورة يجد أن آياتها الأولى بدأت بالفواصل المتماثلة ، ثم تتخللها المتقاربة ، مثل قوله تعالى: ﴿ **وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ الرحمن الآيات (10 ـ 13). ثم تتكرر بعد ذلك الآية الكريمة ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ بفاصلتها النونية على مستوى كل السورة لتشكل رابطا صوتيا يجعل السورة متماسكة من فاتحتها إلى خاتمتها في قوله تعالى: ﴿ **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اِسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ (الآيات : 72، 78).

يقول الزركشي:" فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين؛ بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة " [35]. وهذه الخاصية أوضح وأبين في سورة الرحمن؛ إذ بُنيّت فواصلها على ثلاثة أحرف متقاربة في المخرج والصفات وهي النون والميم والراء، وكلّها حروف مجهورة والسورة تعدّد نعم الله عزّ وجلّ على عباده، وذاك ما يقتضي الجهر بذكر النعمة ثم شكر الله عز وجل وحمده على كل النّعم .

المناسبة الصوتية من خلال التكرار:

تنفرد سورة الرحمن عن غيرها من السور بظاهرة التكرار؛إذ يتكرر فيها مقطع صوتي يتمثل في آية كاملة وهي قوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ (13) ، فتكرار هذه الآية من بداية السورة إلى خاتمتها يجعل القارئ مشدودا إلى موضوعها الذي انبثقت عنه كل السورة والمتمثل في ذكر نعم الله على عباده من بداية الخلق وتسخير الكون لخدمته وتسهيل أمور حياته حتى مصيره النهائي يوم القيامة ووصف عذاب جهنم ونعيم الجنة ، وجميعها نعم تستوجب الحمد لنيل رضا الله عز وجل.

يعتمد التكرار على إعادة ذكر الكلمات [36]، وقد أشار الدكتور (سعد مصلوح) إلى أن التكرار في التراث العربي مرتبط بالتأكيد اللفظي[37]، وقد ذكره السيوطي ضمن حديثه عن التأكيد، حيث يقول:" التأكيد اللفظي هو تكرار اللفظ الأول " [38]. كما أشار إلى دوره في الربط بين الكلامين، حيث يرى أن

ذكر الاسم مرتين إما يكون في كلام وحد، أو في كلامين بينهما تواصل، ويكون أحدهما معطوفا على الآخر، وله به تعلق ظاهر وتناسب واضح وذلك من خلال تكرار ذلك الاسم في الكلام الثاني[39].

والتكرار المقصود هنا ليس تكرار الكلمات وإنما إعادة ذكر الآية الواحدة عدة مرات في السورة وقد سماه السيوطي الترديد، وهو تكرار نفس العبارة من بداية السورة حتى خاتمتها، حيث " يكون المكرر ثانيا متعلق بغير ما تعلق به الأول "[40]، وجعل منه قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ (13) .فقال:" فإنها وإن تكررت نيفا وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها "[41]، أي أنها في كل مرة تُذكَر فيها، تتعلق بالآية التي سبقتها، فكلما ذكر الله عز وجل نعمة من نعمه على الخلق، ذكر بعدها قوله: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ (13) ، وقد أورد "السيوطي" هنا مسألة هي: أي نعمة في قوله تعالى:﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ (**26**) ؟ ثم أجاب عنها بقوله:" النقل من دار الهموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن و البار من الفاجر "[42]، وهنا يمكن الإشارة مرة أخرى إلى صفات حرف النون بانتقال الإنسان من شدّة الدنيا إلى رخاء الآخرة، فكانت هذه نعمة من نعم الله على الخلق استوجبت التساؤل عن نكرانها من طرف العباد، واستوجبت الجهر بشكر الله وحمده .

6.خاتمة:

وصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

ـ أن القرآن الكريم نص يمتاز في جوهره بالترابط والتماسك النصي وهذا من أسرار إعجازه وأكثر ما يساهم في هذا التماسك هو ظاهرة التناسب الصوتي التي تتحقق من خلال تناسب الفواصل القرآنية.

ـ سورة الرحمن تتجلى فيها ظاهرة التناسب الصوتي كثيرا من خلال فواصلها المتماثلة التي تنتهي بحرف النون من بدايتها إلى خاتمتها، وكذلك فواصلها المتقاربة التي نجدها تتغير بين الميم والراء، وكلّها حروف متقاربة المخارج والصفات .

ـ يتحقق التماسك النصي أيضا في سورة الرحمن من خلال ظاهرة التكرار الصوتي المتمثل في تكرار قوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ (13) من بداية السورة حتى خاتمتها.

ـ إن صفات حرف النون الذي بُنيت عليه فواصل آيات السورة (الجهر والتوسط بين الشدة والرخاوة) هذه الصفات لها علاقة وطيدة مع موضوع السورة وفاتحتها.

7 . قائمة المراجع:

المؤلفات:

ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر (مصر) 1975 .

ـ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للنشر القاهر (مصر) ط2 ، 1972.

ـ أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، دار عالم الكتب، القاهرة (مصر) 1997م

ـ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، طبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق2002 م.

ـ أيوب بن موسى الحسيني الكفوي:الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)أعده عدنان درويش

ـ ومحمد المضري،مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت (لبنان) ط2 ،1998م .

ـ بدر الدين الزركشي، في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة ـ 1984م.

ـ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق أبو الحسن مصطفى ديب البغا، دار الهدى عين مليلة (الجزائر) 1998 م.

ـ حسان تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، دار عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى 1993م

ـ روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، علم الكتب، القاهرة 1998 م.

ـ سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم الاتجاهات، الشركة المصرية لونجمان، مصر، 1997 م.

ـ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية في السور المكية، دار قباء، القاهرة ط 1 ، 2000 م .

ـ عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الإمام مالك الجزائر العاصمة، ط 1، 2009 م.

ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر،1984 م.

ـ عزة شبل، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ط2، 2009م.

ـ علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان) ط1، 1996م.

ـ فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار ، عمان الأردن، ط4 ، 2006 م
ـ محمد جمال الدين بن منظور، لسان العرب،مادة (نصص)،ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي،دار الأبحاث الجزائر،ط1 ، 2008م.
ـ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1991م .
ـ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 8 ، 2005م.
ـ مصطفى صادق الرافعي،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت (لبنان) ط 3 ،2004 م.
ـ نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص (دراسة ي علوم القرآن) المركز الثقافي العربي بيروت ،ط 4 ، 1998م.

المقالات:

سعد مصلوح، نحو أجرمية للنص الشعري،دراسة في قصيدة جاهلية ،مجلة فصول مجلد 10،عدد 1-2 (1991م).

الهوامش :

[1] ابن منظور ، لسان العرب،مادة (نصص)،ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي ،دار الأبحاث الجزائر،ج15/14 ،ط2008،1م ص154 .

[2] المصدر نفسه ، ج 15/14 ،ص154.

[3] علي التهانوي : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،تحقيق علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت (لبنان) ط1996،1م،ج2،ص(1695. 1696).

[4] نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص (دراسة ي علوم القرآن) المركز الثقافي العربي بيروت ،ط1998،4م،ص31.

[5] أيوب بن موسى الحسيني الكفوي:الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)أعده عدنان درويش ومحمد المضري،مؤسسة الرسالة للنشر ،بيروت (لبنان) ط2 ،1419هـ /1998م ،ص908.

[6] إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ،المكتبة الإسلامية للنشر القاهر (مصر) 1972 ،ط2، ص926.

[7] ينظر سعيد بحيري :علم لغة النص المفاهيم الاتجاهات ، الشركة المصرية لونجمان ، مصر ، 1997 ، ص146.

[8] ينظر روبيرت دي بوجراند :النص والخطاب والإجراء ،ترجمة تمام حسان ، علم الكتب ، القاهرة 1998 ،ص 103 . 105 .

[9] محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1991م ، ص 5 .

[10] سعد مصلوح :نحو أجرمية للنص الشعري ،دراسة في قصيدة جاهلية ،مجلة فصول مجلد 10 ،عدد 1-2 (1991) ص154.

[11] المرجع نفسه ،ص154.

[12] الجرجاني عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر،1984 ، ص89 .

[13] بدر الدين الزركشي ، في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث للنشر ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة 1404هـ - 1984م ، ج 1 ،ص36.

[14] ينظر :جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تقديم وتعليق أبو الحسن مصطفى ديب البغا ، دار الهدى عين مليلة (الجزائر) 1998 ، ج2،ص977.

[15] ينظر : الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 36 .

[16] الفقي صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية في السور المكية ، دار قباء، القاهرة ط 1 ، 2000 م ، ص 50 .

[17] محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط 8 ، 2005م ، ص 137 .

[18] أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، طبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق2002 م ، ج 5 ، ص 441 .

[19] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 36.

[20] ينظر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 1003.

[21] فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني ، دار عمار ، عمان الأردن ، ط4 ، 2006 م ، ص 217 .

[22] حسان تمام ، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، دار عالم الكتب القاهرة ، الطبعة الأولى 1993م ، ص 300 .

[23] ينظر ، المرجع نفسه ، ص 302 .

[24] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ،ص940 .

[25] الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ،القاهرة (مصر) ط1984،3م ، ج 1 ، ص 60 .

[26] مصطفى صادق الرافعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت (لبنان) ط 3 ،2004 ، ص 171 .

[27] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 75.

[28] أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، دار عالم الكتب ، القاهرة (مصر) 1997م ، ص 397 .

[29] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص173 .

[30] إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مطبعة نهضة مصر (مصر) 1975 ، ص 58 .

[31] عبد الرحمن السعدي ،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الإمام مالك الجزائر العاصمة، ط 1، 2009،ص776.

[32] المرجع نفسه، ص 776 .

[33] المرجع نفسه ، ص 776.

[34] ينظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 58 .

[35] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 75 .

[36] ينظر : عزة شبل ، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق ،مكتبة الآداب القاهرة ، مصر ، ط2 ، 2009م، ص 105 .

[37] ينظر : سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشعري ، ص 157 .

[38] جلال الدين السيوطي ، الإتقان ، ج2 ، ص 846 .

[39] ينظر جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج1، ص 614.

[40] المصدر نفسه : ج2، ص 850 .

[41] الإتقان : ج2 ، ص 850 .

[42] المصدر نفسه : ج2 ، ص 850 .